مفهوم المجتمع في فكر مالك بن نبي رحمه الله و آثاره على التنمية الثقافية والاجتماعية

د. نورالدين جفافلة
جامعة أم البواقي (الجزائر)
djefafla@gmail.com

الإشكالية:

يعد مصطلح المجتمع كغيره من المصطلحات الكثيرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية التي لم تزلْ بعدُ غير محددة وغير منضبطة في عالم التعريفات، وبخاصة في العالم الإسلامي، كما أقر مالك بن نبي رحمه الله نفسه وهو يقدم كتابه "ميلاد مجتمع"، ولهذا عدَّ تفسير هذه الظاهرة (المجتمع) أمرا ضروريا قبل عرضها في واقع المجتمع الإسلامي، ذلك أن تناول أي موضوع عن (المجتمع) من قبيل التنمية أو التخلف أو الثقافة أو التربية وغيره، لا يكون منضبطا موضوعيا ومنهجيا دون ضبط مصطلح المجتمع أولا، لأنه الأساس الذي يبنى عليه، وغيره كله يتفرع عنه.

والسؤال الرئيس الذي تطرحه هذه الورقة البحثية هو:

ما هو مفهوم مالك بن نبي للمجتمع، وما طبيعته وما خصائصه، وهل يختلف عن غيره من المفاهيم التي حفلت بها مختلف مدارس علم الاجتماع؟

ويتفرع عن ذلك أسئلة فرعية تطرح نفسها كالتالي:

- هل يترتب عن اختلاف المفاهيم حول مصطلح المجتمع، اختلاف فيما ينتج عنها من وسلوكيات اجتماعية كالتنمية والثقافة وغيرها؟
- إلى أي مدى يؤثر ضبط مصطلح (المجتمع) في نواتجه كالتنمية الاجتماعية والثقافية، سلبا أو إيجابا؟
- ما تأثير العلاقات الاجتماعية باعتبارها جوهر المجتمع على التنمية الثقافية والاجتماعية في فكر بن نبي؟

المنهجية:

هذا البحث من النوع الوصفي والمنهج الذي سيتبع هو المنهج التحليلي لكتابات مالك بن نبي عامة وكتابه ميلاد مجتمع بوجه خاص.

الخطة الأولية:

تمهيد

أولا: المجتمع في فكر مالك بن نبي– المفهوم – الطبيعة – الخصائص.

ثانيا: مقارنة بين مفهوم مالك بن نبي للمجتمع والمفاهيم الأخرى.

ثالثا: أثر اختلاف مفاهيم مصطلح المجتمع على التنمية الثقافية والتنمية الاجتماعية.

رابعا: تأثير العلاقات الاجتماعية باعتبارها جوهر المجتمع على التنمية الثقافية والتنمية الاجتماعية.

تمهيد:

شكل مصطلح المجتمع واحدا من عشرات المصطلحات القاعدية في فكر مالك بن نبي رحمه الله، سواء في حالته الجذرية المفردة (المجتمع)، أو بعطف مصطلح آخر عليه (كالمجتمع والقيمة الخلقية)، أو في حالته التركيبية الإضافية أو البيانية مع مصطلح أخر (كالمجتمع الإسلامي).

وقد برز ذلك في كتابه "ميلاد مجتمع" الذي خصصه للموضوع نفسه، وتوزع أيضا على جل كتبه في سياقات كثيرة ومتنوعة، ومرتبطة بقضايا كبرى ومواضيع محورية كثيرة، كالحضارة والثقافة والنهضة والتاريخ والتنمية والتخلف وغيرها.

والمتصفح لكتبه يجد كثيرا هذه المصطلحات: (المجتمع الإسلامي) و(المجتمع المسيحي) و(المجتمع الشيوعي) و(المجتمع الاشتراكي) و(المجتمع الأمريكي) و(المجتمع العربي) و(المجتمع العالمي) و(المجتمع الإنساني) و(المجتمع الجاهلي) و(المجتمع البدائي) و(المجتمع المتحضر) و(المجتمع المتخلف) و(المجتمع قبل التحضر) و(المجتمع بعد التحضر) و(المجتمع المدني) و (المجتمع والفرد) و (المجتمع والزمن).. الخ. وكل ذلك له دلالة بينة في كون المصطلح مركزي في مشروعه الفكري والإصلاحي.

ويرتبط بحث ابن نبي رحمه الله في مصطلح المجتمع ارتباطا وثيقا بأسئلة كثيرة محورية، شكلت مشروعه الحضاري، منها سؤال التنمية، وسؤال التخلف وغيرهما، وهو ما تحاول هذه الورقة البحثية بيان بعض جوانبه.

أولا: المجتمع في فكر مالك بن نبي– المفهوم – الطبيعة – الخصائص.

بداية ينبغي البيان أن مالك بن نبي رحمه في كتابه "ميلاد مجتمع" وهو يتناول ميلاد المجتمعات، انطلق من الإشكال المفهومي لمصطلح المجتمع في حد ذاته، ذلك أن حداثة المصطلح في الحقل الدراسي، وحداثة العهد بالاستقلال بالنسبة للشعب الجزائري[1] وهو بصدد مجتمع حديث، ومزاحمة مصطلح المجتمع لمصطلح الأمة في ثقافة المسلم، كل ذلك دفع به للوقوف على تفسير ظاهرة المجتمع نفسها، وفي ذلك يقول:" وقد بدا لنا أن من الضروري أن نفسر أولا هذه الظاهرة عامة قبل أن نعرضها بالنسبة إلى المجتمع الإسلامي خاصة"[2].

ومن هنا نتبين منهجيا أن مالك بن نبي طرح في هذا الكتاب مجالين أو مستويين لتفسير ظاهرة المجتمع وهما مستوى التفسير العام، ومستوى التفسير الخاص، وبيان ذلك كما يلي:

[1] .كتب مالك بن مقدمة كتاب "ميلاد مجتمع" في 11 أفريل 1962.

[2] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص3.

1. التفسير العام لظاهرة المجتمع (وهو المجتمع الطبيعي):

وهو ينطبق على المجتمع الطبيعي أو البدائي، وهو الذي لم يعدل بطريقة محسة المعالم التي تجدد شخصيته منذ كان، وهو يحقق نموذج العالم الساكن ذي المعالم الثابتة، كالمجتمعات الموجودة في مستعمرة النمل أو النحل، والقبيلة الإفريقية في عصر ما قبل الاستعمار، والقبيلة العربية في العصر الجاهلي.

2. التفسير الخاص لظاهرة المجتمع (وهو المجتمع التاريخي):

وهو ينطبق على المجتمع التاريخي الذي ولد في ظروف أولية معينة، ولكنه عدل من بعد صفاته الجذرية ابتداء من هذه الحالة الأولية، طبقا لقانون تطوره. وهذا النوع يحقق النموذج المتحرك، الذي يخضع لقانون التغيير الذي يعدل معالمه من جذورها. وهذا النوع ليس وحيد الصورة، فهو يتنوع من جهة طريقة نشأته، ومن جهة شكل بنائه. وهذا المجتمع ينشأ بطريقتين:

أ- التركيب ابتداء من مواد جديدة: وهي مواد لم تتعرض لأي تغيير تاريخي سابق، وهذا المجتمع يستنفد هذه المواد، في الحالة التي تكون عليها في الطبيعة، وبهذه الطريقة نشأت المجتمعات التاريخية الأولى، إبان الثورة الزراعية الأولى في العصر الحجري الجديد.

وقد يتكون أيضا من عناصر استخدمت في مجتمع تاريخي سابق، تحولت عناصره المكونة له، بسبب تقادمه أو انبساط رقعته، إلى عناصر مهيأة للاستخدام في مجتمع جديد.

ب- التركيب من عناصر قديمة: وقد تكون الاستعارة في صورة هجرة تنزع هذه العناصر من المجتمع الأم، كالهجرة التي كونت المجتمع الأمريكي الحالي، من عناصر قدمها له مجتمع متحضر في حالة توسعه (أوروبي).

وقد تكون الاستعارة في صورة أخرى عندما تكون الحالة إعادة تركيب أنقاض مجتمع أو مجتمعات اختفت، ومن أمثلة ذلك أن المجتمع الروماني امتص في سبيل بنائه كثيرا من المجتمعات التي اختفت مثل المجتمع الغالي والمجتمع القرطاجني والمجتمع المصري[3].

[3]. ن م، ص5، 6.

ومهما تكن طريقة بناء المجتمع التاريخي، فهو ليس حدثا عرضيا، بل هو نتيجة عملية تغيير مطردة يشترك فيها المجتمع الذي يستعير، والآخر الذي يقدم العارية، هذه العملية بحسب مالك بن نبي تتم طبقا لتخطيط نظري عام يشتمل بالضرورة على الجوانب التالية:

أولا: المصدر التاريخي لعملية التغيير المطردة.

ثانيا: المواد التي تمر بتأثير هذا التغيير من حالتها قبل الاجتماعية، مرورا يمكن معه أن تحورها اليد المغيرة إلى حالتها الاجتماعية الجديدة.

ثالثا: القواعد العامة أو القوانين التي تتحكم في هذا التغيير.

وينقسم النموذج التاريخي إلى نوعين من المجتمع:

أ- النموذج الجغرافي: يكون ميلاده عن اختيار مفروض، تفرضه الظروف الطبيعية الخاصة بالوسط الذي يولد فيه، سواء تعرض هذا الوسط لتنوع مفاجئ، أم أن العناصر المكونة له قد واجهت فجأة ظروف وسط طبيعي جديد. ومثاله المجتمع الأمريكي، إذ هو ثمرة هجرة أوروبية، اضطرت إلى أن تتكيف مع الظروف الطبيعية في القارة الجديدة.

ب- النموذج الفكري (الإيديولوجي): ويكون ميلاده تلبية لنداء فكرة، وإليه ينتمي المجتمع الإسلامي، كما ينتمي إليه المجتمع الأوروبي الأصلي الذي هو ثمرة للفكرة المسيحية. ويلحق النموذج المجتمع السوفييتي والمجتمع الصيني[4].

ملاحظات:

1. كل التنوع السابق ذو طابع تاريخي يتصل بمنشأ المجتمع.
2. هناك تنوع ذو طابع تشكيلي يتصل ببناء المجتمع.

وانطلاقا من هذا الطابع التشكيلي تنقسم المجتمعات إلى قسمين:

أ- مجتمعات يقوم بناؤها على طوابق كثيرة. مثل المجتمع البرهمي، والمجتمع الأوروبي في القرن التاسع عشر.

ب- مجتمعات يقوم بناؤها على طابق واحد. مثل المجتمع الإسلامي في عهد النبي ﷺ، قبل

[4]. م س، ص6، 7.

الحركة المذهبية التي قسمته خلال إلى طوائف.

الخصائص المشتركة للمجتمعات:

بعد عرض أمثلة على التنوع التاريخي والتشكيلي للمجتمعات، وهو ما يبين بعض الخصائص التي تتفرد بها أنواع من المجتمعات، يخلص ابن نبي إلى بيان الخصائص المشتركة لجميع المجتمعات مركزا على لبها وجوهرها وأسها وهو شبكة العلاقات الاجتماعية.

فلئن كانت غريزة الجماعة، في أي نموذج تاريخي أو تشكيلي، تدعو إلى التكتل في إطار اجتماعي معين، وهي وسيلة لإنشاء المجتمع، وليست سببا في إنشائه، إلا أن هناك عددا من الثوابت التي يدين لها بدوامه، وبتحديد شخصيته في صورة مستقلة تقريبا عن أفراده. فالمجتمع يحمل في داخله الصفات الذاتية التي تضمن استمراره، وتحفظ شخصيته ودوره عبر التاريخ.

وهذا العنصر الثابت هو المضمون الجوهري للكيان الاجتماعي، إذ هو الذي يحدد عمر المجتمع، واستقراره عبر الزمن، وأن يتيح له أن يواجه ظروف تاريخه جميعا. وهو الذي يتجسد في نهاية الأمر في شبكة العلاقات الاجتماعية، التي تربط أفراد المجتمع فيما بينهم، وتوجه ألوان نشاطهم المختلفة في اتجاه وظيفة عامة، هي رسالة المجتمع الخاصة به.

فتكَوُّن هذه الشبكة، ولو في مرحلة ابتدائية، هو الذي يعبر عن حدث (ميلاد مجتمع) في التاريخ[5].

ويوضح بن نبي المجتمع على أنه الجماعة الإنسانية التي تتطور ابتداء من نقطة يمكن أن نطلق عليها مصطلح ميلاد، باعتبار ذلك الميلاد حدثا يسجل ظهور شكل من أشكال الحياة المشتركة، كما يسجل نقطة انطلاق لحركة التغيير التي تتعرض لها الحياة. ويظهر هذا الشكل في صورة نظام جديد للعلاقات بين أفراد جماعة معينة.

ويخلص قائلا: "فلكي نعطي لموضوعنا تعريف منطقيا، ينبغي أن نربطه بمعامل الزمن، ربطا نحدد معه لهذا المعامل دلالته النفسية والاجتماعية. و من هذا الوجه يصبح المجتمع هو: الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير".

---

[5]. م س، ص8، 9.

فالمجتمع هو تنظيم ذو طابع إنساني يتم طبقا لنظام معين. وهذا النظام في خطوطه العريضة يقوم على عناصر ثلاثة وهي:

1. حركة يتسم بها المجموع الإنساني.
2. إنتاج لأسباب هذه الحركة.
3. وتحديد لاتجاهها.

مقتضيات مفهوم بن نبي للمجتمع:

قبل استخلاص هذه المقتضيات، ينبغي الإشارة والتذكير بظروف ودواعي تأليف مالك بن نبي رحمه الله لكتابه "ميلاد مجتمع". فمن حيث البعد التأسيس الأكاديمي فهو استكمال لما طرحه في كتابه شروط النهضة، و" وجهة العالم الإسلامي ومن حيث البعد الواقعي، فالكتاب وما حواه هو ليكون معالم هادية لبناء المجتمع الجزائري الذي انتصر في معركة التحرير ويتطلع لمعركة البناء، فكان طرح ابن نبي لـ " ميلاد مجتمع" بمثابة الدليل الإرشادي لذلك البناء.

ويمكن استخلاص تلك المقتضيات كما يلي:

المجتمع الجزائري الوليد جزء من المجتمع الإسلامي، وهو:

- ✓ مجتمع تاريخي، متكون من عناصر قديمة، ومتحرك يخضع لقانون التغيير.
- ✓ مجتمع لم ينبثق عن حدث عرضي، بل نتيجة عملية تغيير مطردة، تشتمل على مصدر تاريخي.
- ✓ مجتمع فكري إيديولوجي جاء تلبية لنداء فكرة (الإسلام).
- ✓ مجتمع ذو طبقة واحدة بسبب الإسلام (المساواة).
- ✓ له شبكة علاقات اجتماعية أصيلة (تنظيم فيه الحركة/ وإنتاج لأسباب هذه الحركة/

❖ **الخلاصة**: المجتمع الجزائري يجب أن يكون تنظيما (الفكر المنظمي)، وبناء على ذلك، فالأمر يتطلب إخضاع عملية بنائه لما وصل إليه الفكر التنظيمي وعلوم المنظمات كعلوم الإدارة والتسيير.

ثانيا: مقارنة بين مفهوم مالك بن نبي للمجتمع والمفاهيم الأخرى.

في مستهل هذا المبحث، نبين أن مالك بن نبي رحمه الله لم يقم بعملية بناء واستخلاص مفهوم للمجتمع، إلا بعد أن استقصى ما وصلت إليه أدبيات الدراسات السابقة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دون إغفال لتاريخ الإنسانية عامة وتاريخ الأمة الإسلامية خاصة، كما أعار اهتماما خاصا لواقع المجتمع الإنساني والعالمي، وما تضمنه من أنواع للمجتمعات، كل ذلك بغرض التأسيس لبناء وبعث المجتمع الجزائري غداة الاستقلال. ويمكن إيجاز هذه المقارنة فيما يلي:

انطلق مالك بن نبي في بنائه لمفهوم المجتمع من بيانه للآراء المختلفة التي فسرت الحركة التاريخية وبينت كيفية انبثاق المجتمعات. ومن هنا فمقارنة مفهومه للمجتمع يجب أن تكون مع الفلاسفة الكبار الذين تناولوا هذا الموضوع أمثال هيجل وماركس وتوينبي وابن خلدون.

بين ابن نبي وهيجل:

يعد هيجل واحدا من أكبر فلاسفة القرن التاسع عشر تأثيرا، وأكثرهم غموضا وتعقيدا وعسرا على الفهم، كما عبر عن ذلك الفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل.

والحقيقة أن فلسفته للتاريخ يمكن أن تعبر عن فلسفته كلها، ويوضح هذا المعنى" جوستاين غاردر "بقوله: "مصطلح الفلسفة يعني عند هيجل: منهجا لفهم حركة التاريخ قبل كل شيء؛ لذلك يبدو من شبه المستحيل أن نتحدث عن هيجل، دون أن نتحدث عن تاريخ البشر".

يقول الدكتور أحمد صبحي: "لا يتسنى فهم نظرية هيجل في التاريخ إلا من خلال النسق العام لفلسفته" وعند الحديث عن النسق العام لفلسفته، فلا بد من ذكر ما يسمى" الديالكتيك "أو الهيجلي" ، فالجدل عند هيجل هو العصب الرئيسي في فلسفته، كما أننا لا يمكننا فهم فلسفة التاريخ عند هيجل فهما كاملاً دون الإشارة إلى منهجه الجدلي الشهير أو منطقه[6].

وبحسب بن نبي فهيجل يرجع الأسباب التي تحكم كل حركة تاريخية وكل تغيير اجتماعي، إلى مبدأ التعارض الذي يتكون من قضية ونقيضها. فحينما تنشأ الحركة طبقا لهذه الأسباب المتعارضة، فإن غايتها تتمثل في صورة اندماج و تركيب. فهذه هي الحالات الثلاث التي تسيطر على كل حركة تاريخية في رأي هيجل، ومن ثم يتلخص فيها كل تغيير اجتماعي.

[6]. فلسفة التاريخ عند الفيلسوف الألماني هيجل (1770م - 1831م)(alukah.net)

بيانها من خلال مثال:

القضية: حالة جماعة إنسانية في لحظة معينة من تاريخها.

نقيض القضية: سبب اقتصادي/ أخلاقي/ مناخي... يهدف إلى تعديل اتجاهها... تأثير الأفعال وردود الأفعال المتبادلة يصبح الوسط مجالا لنزعات السكون المتصلة بخموده الفطر، ونزعات الحركة التي تنشئ حالة مناقضة في طريقها إلى الظهور، وهي نقيض القضية.

وفكرة التعارض هذه هي التي تكون في نظر هيجل الوة المحركة التي تخلق الحركة التاريخية، التي من شأنها أن تخلق أسبابها.

والاندماج أو التركيب هو الغاية المنشودة من هذا الكيان كله، ذلك الكيان الذي يجدد دورته تعارض جديد يزلزل التعادل القائم المستقر.

ملاحظة: فكرة التعارض هي الميدان الذي اختلفت فيه المذاهب الفكرية المعاصرة

❖بين ابن نبي وماركس:

يذهب ماركس إلى أن الأسباب المتعارضة التي تؤدي إلى حدوث التغيرات الاجتماعية ذات طابع اقتصادي: فميلاد المجتمع وشكل الحضارة الذي يتخذه ناشئان عن التعارض الاقتصادي.

نقد ابن نبي لماركس:

لو طبقت فكرة ماركس على التعارض الهيجلي، فستبرز حدود امتدادها على الخريطة الاقتصادية للعالم، فعد ظاهرة التعارض ظاهرة اقتصادية يرسم فقط منطقة اقتصادية، وهنا يقول بن نبي: نستطيع أن نقرر أن انتشار الفكرة الشيوعية محدود داخل هذه الحدود الاقتصادية المطابقة لحدود جغرافية معينة، وأن التفكير الماركسي لم يجد وراء هذه الحدود المزدوجة ظروف تأقلمه، فهو بهذه الصورة لا يستطيع أن يقدم لنا تفسيرا معقولا للمجالات التي لم ينتشر فيها على الخريطة.

❖بين ابن نبي وتوينبي:

للمؤرخ الإنجليزي جون آرنولد توينبي مكانة كبيرة عند بن نبي إذ يلقبه بالمؤرخ الكبير، ويقول عنه:

"لقد اتبع منهجا ينطبق في جانب منه على تخطيط هيجل، وذلك حين شبه فكرة التعارض

بعقبة ذات طابع اقتصادي أو فني عبر عنها بكلمة (التحدي). وفي رأيه أن التحدي يتوجه إلى ضمير الفرد أو الجماعة، وتكون مواجهته بالقدر الذي تكون عليه أهمية الاستفزاز وخطورته، فهناك تناسب ين طبيعة الاستفزاز وبين الموقف الذي يتخذه الضمير في مواجهته... فهناك حد منه ما أطلق عليه توينبي (التحدي المناسب) الذي يستلزم نشوء (إجابة) كافية لتحريك أسباب التغيير.

ملاحظة: تبنى ابن نبي رأي توينبي إلى حد ما فقال:

ونحن يمكننا إلى حد ما أن نصوغ هذا الرأي الذي ذهب إليه توينبي صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم في تفسير منشأ الحركة . التي ولدت المجتمع الإسلامي وغايته التاريخي ة. بالعوامل النفسية التي حفزت القوة الروحية في هذا المجتمع.

ويردف ابن نبي مفسرا: والواقع أن القرآن الكريم قد وضع الضمير المسلم بين حدين هما: الوعد والوعيد، ومعنى ذلك أنه وضعه في أنسب الظروف التي يتسنى له فيها أن يجيب على تحد روحي في أساسه"[7].

ثالثا: أثر اختلاف مفاهيم مصطلح المجتمع على التنمية الثقافية والتنمية الاجتماعية[8].

لا شك ولا مراء في أن اختلاف المفاهيم له تأثير على السلوك في الواقع، سواء بالنسبة للأفراد أو الجماعات، ومن هنا يمكن القول، إن اختلاف مفاهيم مصطلح المجتمع له تأثير على كل إفرازات المجتمع، ومن ذلك على التنمية الثقافية والتنمية الاجتماعية.

ومن هذا المنطلق يطرح مالك بن نبي ما يؤسس لهذا الأمر ويدعمه وذلك في بقية فصول كتابه "ميلاد مجتمع" وخاصة في فصل العلاقات الاجتماعية وعلم النفس، وفكرة التربية الاجتماعية، وشروطها الأولية.

7

8. د. عائشة يدر، نظريات التنمية لدى المفكرين العرب :مالك بن نبي و سمير أمين نموذجا. مجلة آفاق علمية

ولقد شكل موضوع التنمية محورا مفصليا من محاور اهتمام مالك بن نبي في كثيرا من كتبه[9]، وليس ذلك بالغريب كونه كان هاجسا لوطن طالما سكنه.

التربية الاجتماعية باعتبارها منهاجا هاديا لسير المجتمع:

عد ابن نبي الإنسان أساس المعادلة التنموية، فصب اهتمامه عليه وجعل محور بنائه هو البناء الثقافي والاجتماعي. لهذا جعل من فكرة التربية الاجتماعية لبنة لبناء الإنسان ليتحقق ميلاد المجتمع في صورته الأصيلة والفعالة.

والمعنى الذي انطلق منه لبيان معنى التربية الاجتماعية هي أنها المنهج الذي يهدي سير المجتمع، وقواعدها العامة تستقى من علم التاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم النفس.

فالتاريخ فيه سنن وقواعد هي ثوابته. وإن نهضة مجتمع ما تتم في الظروف نفسها التي تم فيها ميلاده، كذلك يخضع بناؤه وإعادة بنائه للقانون نفسه.

إن تاريخ مجتمع ما هو تاريخ شبكة علاقات ونظام الأفعال المنعكسة لدى نموذجه وهو الفرد المكيف. فكل فكرة عن التربية الاجتماعية يجب ان تصدر من هنا:

" إنه لكي يمكن التأثير في أسلوب الحياة في مجتمع ما، وفي سلوك نموذجه الذي يتكون منه وبعبارة أخرى لكي يمكن بناء نظام تربوي اجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكار جد واضحة، عن العلاقات والانعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية، في مستوى الفرد، وفي مستوى المجتمع.

الشروط الأولية للتربية الاجتماعية:

وأول تلك الشروط هي حين نقتبس حلولا من غيرنا وجب مراعاة المحيط الاجتماعي في بلادها، أي لا يمكن فصلها عن روحها، وبعبارة أخرى ينبغي أن نهيئ في بلادنا المحيط اللازم لتطبيق ما نتصور من حلول لمشكلاتنا الاجتماعية. إذن فلكي نواجه بطريقة فنية أية مشكلة اجتماعية، ينبغي ألا يقتصر عملنا على اقتراض الحلول التي تأكدت صحتها خارج بلادنا، إذ إن الصيغة المقتبسة صحيحة بلا أدنى شك، ولكن في إطارها الاجتماعي، في محيطها الذي تخلقت

[9]. مصطفى خروس ، سمية الوافي . الإنسان أساس المعادلة التنموية في فكر مالك بن نبي، دراسة نقدية تاريخية حضارية.مجلة مشكلات الحضارة

فيه، في نفخة الروح التي تخيلتها.

وهذا الأمر لا ينطبق فقط على الحلول المقتبسة من الغير، بل ينطبق حتى على الحلول المقتبسة من تاريخنا.

ومن تلك الشروط أيضا، ضرورة تكييف الطاقة الحيوية اللازمة لأداء الفرد لنشاطه المشترك التاريخ. فالمجتمع مضطر أن يستعير من الطبيعة، أعني من غرائز الفرد طاقته الحيوية اللازمة لأداء نشاطه المشترك في التاريخ، لكن بعد تكييفها.

والتكييف هنا هو إخضاعها لنظام دقيق تمليه فكرة عليا تعيد تنظيم هذه الطاقة، وتعيد توجيهها فتحولها من طاقة ذات وظائف بيولوجية خالصة في المقام الأول . حيث تشترك في حفظ النوع . إلى طاقة ذات وظائف اجتماعية يؤديها الانسان، حيث يسهم في النشاط المشترك لمجتمع ما.

رابعا: تأثير العلاقات الاجتماعية باعتبارها جوهر المجتمع على التنمية الثقافية والتنمية الاجتماعية.

إذا كان ميلاد المجتمع التاريخي ذي النموذج الفكري يرتبط ارتباطا وثيقا بميلاد العلاقات الاجتماعية، فإنه من الواجب الوقوف عندها، لأنها هي التي تؤثر في الأنشطة الاجتماعية التي تحقق أهداف المجتمع وتضمن استمراريته.

وقبل بيان ذلك نبين أصل تلك العلاقات الاجتماعية كما بينها ابن نبي في كتابه "ميلاد مجتمع".

فالأصل في شبكة العلاقات الاجتماعية الضرورية لأداء العمل الاجتماعي المشترك ليست نتيجة أولية تستحثها العوالم الثلاثة التي يتكون منها مجتمع معين، بل هي نتيجة الظروف والشروط التي تحدث الحركة التاريخية نفسها. وقد تبين أن هذه الحركة يمكن تفسيرها على أنها ثمرة لتعارض معين طبقا لمنهج هيجل أو أنها إجابة على تحد معين على ما ذهب إليه توينبي.

إن شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده (كتابة بين المهاجرين والانصار).

لقد ناقش مالك بن نبي قضية "شبكة العالقات الاجتماعية" في مواضع متعددة من أعمالهَ

الفكرية، لأهميتها في تحليل آليات بناء "المجتمع التاريخي" بحكم أن هذه الشبكة هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده، وهو يعني بهذا أننا نصنع التاريخ حينما نقوم بنشاط مشترك، والذي يعني تقاسم الأدوار من جهة، وتكاملها من جهة أخرى. وبيان ذلك كما يلي:

1. **تأثيرها على التنمية الثقافية**
2. **تأثيرها على التنمية الاجتماعية**